

## 46 المبدأ

أيهما أفضل لديك،  
سيئ تعرفه أم جيد تتعرف إليه؟

### المغزى:

«ماذا لو لم ينجح اقتراحك؟» رغم أن هذا القول وحده من قبل أولئك المتشائمين كفيل بقتل أي تطور أو تجميد كل إبداع، وصحيح أننا جميعاً عرضة للوقوع في دوامة الترقب و«دوار» التردد من جراء التفكير في الانتقال من وضع ألفناه إلى وضع لا ندرك أبعاده.. إلا أنّ مشكلة القلق بعد ذاتها، هي - وكبقية الانفعالات - تنتقل كالعدوى مثل فيروس الزكام، تُصيبنا من ذاك المتشائم أو المتردد، عبر شعور اصطلح علماء النفس على تسميته بـ «القلق ذي الانسياب الحر» أي ذلك الشعور بعدم الارتياح الذي يتولّد عن تهديد فعلي (أو متصور) لا يصيب صاحبه فحسب وإنما المجموعة بكاملها. فأنت إذا كنت في بداية حياتك المهنية والاجتماعية كثير التردد لعبارة: ماذا لو...؟

التي تتم عن كآبة وشؤم سيتجنب الناس التعامل معك، وفي حال كنت تأبى التغيير ورؤية الفرص السانحة ستزداد محدودية نجاحك نظراً لإحجامك عن اغتنام الفرص المؤاتية فيما يخص المناصب أو المهام الجديدة.

في لحظات التغيير الكبرى يقترف معظم الناس أمراً خاطئاً وهو عندما يحاولون التشبث بما لديهم وبما يعرفون.. إنهم يعانقون الحاضر بياس، لهذا ليكن مقياس إيمانك بالنجاح والتقدم ليس ما أنت فيه، بل ما ترغب في تحقيقه. لأن التحدي المطلوب هو أن تكون قادراً على القول بأن هذه المشاعر ليست لي إنها مجرد ظرف أمر به! علينا أن نطور فينا ذلك الانتباه المتوقّد، وحب الاستطلاع حتى ننمي في داخلنا رؤية علمية عما نقوم به وعما نود أن نفعل، وتلك الرؤية بالطبع لا تعني الركون على الهامش واستخدام المنظار بقدر ما تعني التقرب الملموس منها.

### المثال

استشهد زياد برواية جحا وابنه والحمار: كيف أن الناس لعنت جحا لأنه يركب الحمار ويترك ابنه يمشي، ولعنوا عقوق الابن عندما شاهدوه راكباً وأبوه يمشي، ثم لعنوا الاثنين معاً عندما سارا وتركا الحمار..

هل غريب أمر الناس أم المواقف التي مر بها زياد مع ابنه

وزوجته؟ فما الذي حدث؟ تزوجا منذ اثنين وعشرين سنة. رزقا خلالها بثلاثة أولاد، فأخذ زياد يعمل ليل نهار لإعالة العائلة وتأمين متطلباتها ومتابعة الأبناء في دراستهم حتى وفقوا ودخل الثلاثة كلية الطب. وأمام متطلبات الدراسة أخذ الزوجين يدخران ما يمكن ادخاره من أجل إنهاء تعليم الأولاد، وبدأت الأم تشد على نفسها في المصروف وشراء احتياجاتها الخاصة حتى لا تذهب الأموال من أمام أولادها الذين هم بحاجة إليها أكثر. أما الأب فقد تحسب للأمر إذ منذ مجيء الابن الأول اشترك في نظام تأمين وبدأ في سداد بوليصة تأمين على الحياة.. وهكذا مرت الأيام حتى أصبح الأولاد على عتبة التخرج.. انتهت مدة بوليصة التأمين وقبض زياد قيمتها.. وفي جلسة عائلية طلب الابن سيارة وطلبت الابنتين ملابس فاخرة.. وقررت الأم المضي في الادخار لأن مستقبل الأولاد للزواج هو الأهم.. لتفاجئ عند عودة زوجها في اليوم التالي وهو يحمل أكياساً من الثياب الفاخرة لها وله.. فانفجرت غاضبة من تصرف زوجها الأناني وعدم قدرته على التضحية من أجل الأبناء، وهنا يملق زياد على اتهام زوجته له بعدم التضحية: «التضحية ليست تعذيباً للنفس ولا عطاء فياضاً بلا معنى، أن أضحي من أجل تعليم أولادي... نعم، من أجل تربيتهم وإطعامهم واجب مفروض، ولكن أن تقولي لي: ضح من أجل رفاهيتهم، أن يستمتعوا هم ونحن لا، فهذا نوع من السخافة..»



في تصور زياد أنه يريد لأولاده أن يصبحوا رجالاً ناضجين، قادرين على الاعتماد على أنفسهم وعلى رؤية الحياة بكد والتعامل معها بواقعية. وفي الوقت الذي ترى زوجة زياد في تصرفه عدم مبالاة وصرفه الأموال المدخرة لفاية شخصية، يرى زياد أنه آمن أولاده برأسمال أهم من السيارة والثياب، إنه التخصص الجامعي الذي يمكن من خلاله إكمال حياتهم به.. لم تكن تدري الزوجة «الجيد» الذي أراده زوجها لبقية حياتهما فضّلت صعوبة الحياة المرة، وهنا مكنم الخلاف: أي واقع حال يريدانه: تغيير أم بقاء على حال رث؟ كل الأشياء تخضع للنسبية: لا الإفراط (موت الآباء من أجل الأبناء) يلزم، ولا التفريط (المبالغة في الرعاية) جائز، لأن كثير العنان وعظيم التضحية يقتلان كما كثرة الماء للزهور تخنق وتميت.

### || الملخص:

لا تكن ذاك الشخص الذي يشن حرباً ضد الأفكار الجديدة - خاصة إذا كُنْتَ المحارب الوحيد - ستكون عندها في خطر، بل أعد التفكير في إستراتيجيتك فقد يتعين عليك استبدال ما تقلق بشأنه قبل أن تصاب من جراء استمرارك به بالإحباط.

## ■ المرادف:

■ كي تصبح شخصاً مهماً، عليك أن تضعي بكل لحظة من لحظات حياتك، فإذا كانت تمطر.. لا تخرج، كل جيداً.. نم كثيراً، ولكن اعلم عندها أنه لم يعد باستطاعتك أن تتركب حصاناً، ولا تحسن السباحة.

■ لقد صادفت الكثير من حالات الفشل في حياتي وتعلمت منها أنك إذا لم تفشل عدة مرات فإنك على الأغلب نست مبدعاً بالقدر الذي تستطيع أن تكونه، لهذا من المهم أن تتذكر بأن: الفشل رفيق النجاح.

(جون باكس)

■ إذا دأبت على فعل ما تفعله دائماً، فستحصل على ما تحصل عليه دائماً.

■ من يخشى أن يتألم... يتألم مما يخشى...

(أبقراط)

■ ■ ■

